

# الخط العربي فى الحضارة الاسلامية

د. محمد شريفى

يؤدى الخط العربى غرضين : أولهما، الابانة عن معانى الالفاظ مثل سائر الكتابات، وثانيهما، عرضه فى رسوم تجريدية جميلة، فصارت من أهم الفنون التى أنتجت الحضارة الاسلامية، فقد واكبها من بدايتها، ولا يزال شاهدا على تطورها ونموها.

والمواضيع التى ستتعرض لها هى : نشأة الكتابة العربية، ثم تطورها فى المصاحف لارتباطها به، ثم مساهمة الأئمة الثلاثة فى الخط وهم، ابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصى.

ونرى بعد ذلك، الفروق بين الخط اليباس واللين الذى اختير للكتابة فى كل مجالات. وكانت الادوات التى ينتج بها الخط هى القلم فسنرى بالصور والاصاف طريقة سيره التى أنتجت الخط الجميل. ثم نتطرق بايجاز الى أهم المدارس الموجودة للخط، ثم نذكر بعض أدوات الكتابة وآدابها. ولاكتمال أبعاد هذا البحث نتعرض للخطاط وشخصيته، وميادين انتاجه ثم نتعرف على أعمال الخطاطين فى مجال اللوحات الخطية، والمصاحف الشريفة.

وقد حاولنا قدر الاستطاعة شرح المقال بالصور، فهى أوضح طريقة للوقوف على أصالة الخط العربى. والنص الذى لم نوفق الى عرض ما يناسبه، سيكون مصحوبا بالزخارف والخطوط المتنوعة.

كانت الكتابة العربية قليلة عند العرب، قبيل الاسلام، فهى تتبع الحضارة والعرب حينئذ أمة بدواة. لكن اختلاطهم بالقبائل المتحضرة المجاورة بأسباب التجارة، واتصال هذه القبائل بالحجاز لغرض الحج حفزت العرب الى تعلم كتابتهم.

روى عن سمرة بن جندب قال : نظرت فى كتاب العربية، فوجدتها قد مرت بالانبار قبل أن تمر بالحيرة<sup>(1)</sup>.

(1) ابو عمرو الدانى : المحكم فى نقط المصاحف، ص 25.

أما النقوش التى عثر عليها، فتدلّ على اقتباس العرب كتابتهم من صور الكتابة النبطية، وهم أيضا قوم عرب. « ظهرت دولتهم فى شبه جزيرة سيناء على أنقاض الدولة الادومية وكانت عاصمتها سلم، وباليونانية بترأ. ومن هنا امتدّت الى صحراء سوريا حتى شملت دمشق وأطراف نهر الفرات من ناحية كما أنها توغلت فى بلاد الحجاز من ناحية أخرى » (2).

وكان من خصائص الكتابة النبطية وصل الحروف. واستعملت حروفاً للابتداء مغايرة لصور حروف الانتهاء للتفريق بين الكلمات. وكانت كتابتهم خالية من الاعجام، وتؤدي بعض الحروف أغراض الأخرى. ومن مميزاتها حذف الحركات الممدودة مثل مالك، تكتب ملك، والنبيين، بياء واحدة ...

وانتشرت الكتابة النبطية ليظهر روحها فى الكتابة العربية الجاهلية وذلك فى القرنين الخامس والسادس الميلادى، كما شوهد فى نقش زبد المؤرخ سنة 511 م، ونقش حران سنة 568 م (3).

بعث النبى (ص) ونزلت عليه أول آيات القرآن نحث على القراءة، وتنسب العلم للقلم، وأقسم الله تعالى فى آية أخرى به وهى : « ن والقلم » وأمرت آيات الدين بالكتابة بين المتدائنين (4).

وكانت فدية الأسرى المشركين الذين يعرفون الكتابة، فى غزوة بدر تعليم عشرة صبيان من المسلمين.

واتخذ النبى (ص) الكتبة لتدوين القرآن بين يديه فور نزوله، واشتهر منهم الصحابة رضوان الله عليهم، على بن أبى طالب، وعثمان بن عفان، وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت (5). وفى خلافة عثمان بن عفان جمع القرآن الكريم فى مصحف واحد. وقال الدانى : أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ، وبعث الى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن : الى الكوفة والبصرة والشام وأمسك عنده واحدة (6).

لم تحفظ القرون السوالمف احدى تلك النسخ، وأغفل الراءون وصف خطه ما عدا ملاحظات عامة مثل التى ذكرها ابن كثير فى ذيل تفسيره حين رأى النسخة التى كانت بطبرية، ونقلت فى حدود ثمان عشرة وخمسمائة هجرية الى جامع دمشق. وقال : « وقد رأيت كتابا جليلا ضخما بخط حسن مبين قوى بحبر محكم، فى رق اظنه من جلود الابل » (7).

(2) ولغسن : تاريخ اللغات السامية، ص 134.

(3) خليل يحي ناحى : أصل الخط العربى وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام.

(4) سورة البقرة، آيات 282 - 283.

(5) الجهنياري : الكتاب والوزراء.

(6) الدانى : المقنع فى رسم المصاحف، ص 9.

(7) ابن كثير : فضائل القرآن، ص 29.

وذكر المقرئ أن أبا القاسم النجيبى السبتي، رأى المصحف العثمانى بمقصورة جامع بنى أمية بدمشق سنة 657 هـ. وذكر أيضا أن المصحف العثمانى كان بقرطية ثم آل أمره الى الموحدين.

(المقرئ : نفح الطيب. ج 2، ص 135).

وتوجد في متحف طوب كابي باستانبول نسخة معروضة عليها آثار دماء تنسب الى سيدنا عثمان بن عفان حين مقتله. ولكن جودة خطها وصناعته تبعدها عن كونها هي المصحف الامام. وتظهر مقارنتها مع النسخة المحفوظة في المتحف الاسلامي باستانبول أيضا أولوية هذه في القدم عن تلك، وقد أشار بذلك مدير متحف طوبكابي. ونسخة المتحف الاسلامي بها تطريس، وهي اعادة الكتابة على المکتوب والصنعة بادية عليها.

ومن النسخ التي عليها آثارها الدماء نسخة جليلة محفوظة من كنوز متحف طشقند. وقد شاهدناها سنة 1968 م. وان الزخارف الفاصلة بين صورها والدقة المتناهية في مطاتها خصوصا حروف الياء الراجعة. تجعلنا نذهب الى ما ذهب اليه الدارسون الاجانب حين سجلوا في أوائل النسخ المصورة عنها، أنها نقلت عن أحد المصاحف الأئمة.

والرويات أيضا تذهب مؤيدة الى « أن خط الطومار هو قلم مبسوط كله ليس فيه شيء مستدير ». وكثيرا ما كتبت به مصاحف المدينة القديمة<sup>(8)</sup>.

ونحن نرى بكل اطمئنان أن الله أراد لها الفناء بعد أن قامت بمهمتها أحسن قيام وهي حفظ القرآن بالتواتر في الصدور، واجماع المصاحف الكثيرة المكتوبة عن هذه المصاحف الأئمة.

وقد كتب الله من قبل أن تشقق الصحف التي جمع منها المصحف الامام. وكانت قد أرجعت الى حفصة فلما ماتت أمر بها مروان فشقت وقال : انما فعلت هذا لاني خشيت إن طال بالناس زمان ان يرتاب في شأن هذه الصحف مراتب<sup>(9)</sup>.

واننا لنجد في المصاحف الناقلة عن المصحف الامام، دلالة قوية على أن المصاحف الأئمة كتبت على ذلك النحو. لان الناقل سيتأثر حتما بالخط الذي ينقل عنه. ناهيك إذا عزم على التقليد تقديسا للمكتوب، وربما قلد أيضا الدماء فسكبها على أوراقه لذلك نرجح خطوط المصاحف العثمانية على منوال المصاحف التي بقيت آثارها. الا أن بها مسحة من التجويد والتحسين التي أضافتها الكوفة على الكتابة لما انشئت، ونزل بها قوم من اليمن وقد عرفوا بخطهم المسند. وبعد ذلك أطلق اسم الكوفي على الخطوط اليابسة.

وعند مقارنة الخط المبسوط أو الكوفي مع خط المراسلات المسمى بالمقور الذي وصل إلينا في البرديات في القرن الاول، لا نجد اختلافا في الهيكل ولا في الخصائص، أو في الوصل والفصل. وما المقور الا أن زواياه محذوفة منه ومكتوب بسن حادة مع صغر الخط وقلة الورق. بينما الخط الكوفي مسجل بقلم عريض له سمك وزاويتان. ويستلزم تسطيحه مديدا من الوقت والتأني.

وكلما أسرع الكاتب لليونة المادة التي يكتب عليها، مال الى التدوير. ويلاحظ ذلك في الشاهد المكتشف في أسوان الذي يحمل تاريخ سنة إحدى وثلاثين هجرية. فان الكاتب قد ضيق

(8) الفلقشندي : صبح الاعشى. ج 3، ص 38.

(9) ابن حجر الهسقلاني. فتح الباري. ج 9، ص 16.

فى السطور الاولى وعندما قرب النص من نهايته وبقي الفراغ واسعا، أسرع فى خطه فمال الى اللينة رغم قساوة المادة التى سجل عليها<sup>(10)</sup>.

ولما شاعت الكتابة وقراءة القرآن فى الامصار، وقع التصحيف، فطلب زياد بن أبىه والى البصرة من أبى الأسود الدؤلى فوضع نقطا فى المصحف للحركات الثلاث والتنوين.

وكان الاصلاح الثانى فى زمن الحجاج بن يوسف حيث طلب من يحيى بن يعمر ونصر بن عاصم ادخال نقط الاعجام للتفريق بين الحروف المتشابهة ثم جاء الخليل بن أحمد بعد قرن من الزمان فأبدل الشكل بالعلامات المستقرة حتى زماننا هذا<sup>(11)</sup>.

تنافس الخطاطون والوراقون فى تجويد الخط، وسارت الكتابة نحو اللينة لسهولة ولكونها أقرب الى الحضارة من اليابسة البدائية التى تتحكم فيها المواد المسجلة عليها.

وأشهر من طور الخط وضبطه هو ابن مقلة<sup>(12)</sup> ولم تصل إلينا خطوطه بعد، ولو أن أحد الباحثين قد ذكر لى أنه يملك ثلاثة نماذج من خطه المصحفى مع العلم أن ابن مقلة قال انه كتب المصحف دفعتين<sup>(13)</sup>.

وباستقراء الروايات والنظر الى خطوط من بعده، نرجح أن يكون خطه شبيها بالمسمى، الخط « نصف كوفى » فهو الذى بدأ هندسة الحروف بنسب فاضلة وقواعد جمالية، وأضفى اللينة عليها بمقادير موزونة. وهذه الرواية توضح ما ذكرناه.

روى المقرئ ما يلى : وقال ابن خليل السكونى فى فهرسته :

« شاهدت بجامع العدى بأشبيلية ربعة مصحف فى أسفار ينحى به لنحو خطوط الكوفة الا أنه أحسن خطا وأبينه وأبرعه وأتقنه، فقال لى الشيخ الاستاذ أبو الحسين بن الطفيل بن

(10) هذا الحجر محفوظ بالمتحف الاسلامى بالقاهرة ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم. هذا القبر

لعبد الرحمن بن خير الحيرى اللهم اغفر له

وادخله فى رحمة منك واتنا معه

استغفر له اذا قرأ هذا الكتب

وقال أمين وكتب هذا ا

لكتب فى جمدى الا

خر من سنة احدى و

تلتين.

(11) الدانى : المحكم ص 6 - 7.

وانظر حفى ناصف. تاريخ الادب أو حياة اللغة العربية. ج 1، ص 89.

(12)- هو أبو على محمد بن على بن الحسين بن مقلة ولد لتسع بقين من شوال سنة 272 هـ - 336 م.

ببغداد، وتوفى يوم الاحد عاشر من شوال سنة 328 هـ - 940 م.

- وفيات الاعيان، ج 4. ص 198 - 202.

- الثعالبى، ثمار القلوب. ص 167.

(13) المصدر السابق نفس الصفحة.

عطية : هذا خط ابن مقلة « ثم قال » قم قسنا حروفه بالضابط فوجدنا أنواعها تتماثل في القدر والوضع، فالالافات على قدر واحد، واللامات كذلك، والكافات والواوات وغيرها بهذه النسبة<sup>(14)</sup>.

ولعل أبلغ مدح قيل في خطه ما سمعه التوحيدي حين سأل عبد الله بن زنجي : ما تقول في خط بن مقلة : « ذاك نبي فيه أفرغ الخط في يده كما أوحى الى النحل في تسديد بيوته ».

ولكن كيف هندس ابن مقلة الكتابة العربية، وما سر جمالها واعتدالها ؟ كانت الحضارة الإسلامية في القرن الثالث في تقدم وإزدهار، وكان المسلمون لا يرفضون الجديد بل يدرسونه ويأخذون أحسنه، ويضيفون حتى يتلاءم مع معيشتهم، ويكسونه بمسحة من أدواقهم حتى لا تكاد تجد أصولا لاقتباساتهم.

وترجمت العلوم اليونانية والحضارات الأجنبية الى العربية، ونجد اخوان الصفا يقرنون بالنسب الفاضلة، وهي : « المثل، والمثل والنصف، والمثل والتلث، والمثل والرابع، والمثل والثلث »<sup>(15)</sup>.

ويذكرون أن تركيب الكتابة هي على تلك النسب، وهندستها على مقياس طول الالف الذي هو قطر الدائرة الضابطة لحروف المعجم. ولا يضيرنا أن نقول أن العلوم الأجنبية قد سبقت الى هذه النسب. فانا سنجد الخط العربي في مظهره بعيدا كل البعد عن الهندسة البحتة، أو لها شبه أو صلة بالحروف الأجنبية. فقد أخذ الفنان المسلم منها هيكلها ونسبها الجمالية ثم كساها بالترطيب اللائق بالذوق العربي. ومثاليته في ذلك الوضوح والاختزال والجمال.

ونجد الدليل الثاني في محاوراة عابرة في كتاب « مثالب الوزيرين » للتوحيدي. ان صديقا لابن ثوبان الكاتب أبي العباس<sup>(16)</sup> يكنى أبا عبيدة قال له ذات يوم أنك رجل بحمد الله ومنه، ذو أدب وفصاحة وبراعة وبلاغة، فلو أكملت فضائلك بأن تصنيف إليها معرفة البرهان القياسي وعلم الامثال الدالة على حقائق الأشياء، وقرأت كتاب أفليدس وتدبرته. فقال له ابن ثوبان وما أفليدس ؟ قال له : رجل من علماء الروم يسمى بهذا الاسم وضع كتابا فيه أمثال كثيرة مختلفة تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيبية، يشحذ الذهن، ويدقق الفهم ويلطف المعرفة، ويصفى الحاسة، ويثبت الرؤية، ومنه انتج الخط، وعرفت مقادير المعجم<sup>(17)</sup>...

ونرى أن ابن مقلة الذي هندس الخط اللين كان قد درس تلك المقاييس وتلك النسب فاشتهر بذلك.

وهناك فروق واضحة عند مقارنة الخط الكوفي باللين الذي ظهر تاما في ابن التواب فقط ارتبط بأصوله فكان في بعض حروفه آثار الحروف المفردة. أما اللين مميزاته، هندسته على

(14) المقرئ : نفخ الطيب : ج 6، ص 40.

(15) اخوان الصفا : الرسالة الخامسة في الموسيقى، ص 166.

(16) هو : احمد بن محمد بن ثوبان من كبار منشيء القرن الرابع وكان كاتب ديوان الرسائل لمعز الدولة توفي سنة 349. انظر ترجمته في معجم الادباء.

(17) أبو حيان على بن محمد بن عباس التوحيدي : مثالب الوزيرين، ص 157.

نحو مختزل، ووضع الحروف الموصولة في ربط محكم، قاعدته الاساسية تسيير القلم الى الامام. وهذه هي الميزة التي نودّ الفات النظر اليها وشرحها. وهي موجودة في مواضع الاتصال، علما بأن بعض الحروف لا يتصل بها ما يليها، وهي : الالف والدال والذال والراء والزاي والواو. لكي لا تشتبّه بالحروف الاخرى. ويرسم الحرف بكامل صورته في آخر الكلمة علامة لانتهائها. ونوضح مثال الاتصال في ثلاث مركبات. أولها : «.

أول هذه الحروف هي السن التي تمثل الباء وأخواتها والنون والياء في الابتداء، والثانية تمثل الحروف السابقة الذكر في الوسط. وقد رسمت في الكوفي على هذه الصورة ( ) فنضطر الى رفع القلم لرسم الجيم، أما في اللين فصارت على هذين الصورتين ( ).

وتسير السين الى قدام بلا رفع القلم. وللعين رجوع الى اليمين ولكن بلا رفع القلم، ويعكس سيره للحصول على مثلث موزون. وقد رسمت قديما على شكلها في الابتداء ( ) ثم تطورت في الكوفي الى هذا الشكل ( )، ثم اتصل طرفاها من أعلى فرسمت بخط سير واحد ( ) والفاء والقاف على شكل معين وكانت في الكوفي على صورة واحدة في الابتداء والتوسط ( ) ثم تطورت الى هذا الشكل ( ). ورسمت صورتها الاخيرة في اللين على هذا الشكل : ( ).

وأما الميم فهي على عدّة أشكال نكتفي في الاتصال على شكلين فهي مثل الفاء الا أن رأسها يوجد أسفل الربط ( ) والشكل الثاني فيه رجوع قدر نقطة ( ).

والهاء ينوعها المشقوق والمدغم، مثل الميم بتكرار مثالها من أعلى ( ) وترسم الالف بالصعود بها، وكانت في الكوفي ترسم من أعلى لذلك ينزل نواؤها تحت السطر ( ).

ثانيها : بها حرفان: يفرش الاول للثاني للاتصال تدريجيا حتى يلتصقا ويتحدّا في سمك واحد وهما الصاد والطاء ( ) وقديما ترسم الطاء ابتداء من قائمها.

ثالثها : عن القوائم. وهذه يضطرّ فيها للرجوع الى السطر. ولكي تبدو على صورة فنية طبيعية، رسمت على قاعدة تفريع البنات ومثال ذلك : ( ) والكاف المشكولة تزداد شكلتها عند التوسط وقد يستغنى عنها وتعوض بكاف صغيرة ( ) ويصعد باللام ويرجع بها في التوسط. والكاف المعرات في التطرف في حكم اللام، وكذلك الدال والهاء المردوفة ( ) وقد كانت الكاف والدال على صورة واحدة في الابتداء والتوسط والتطرف وبهذه الطريقة الشيعة اختزلت الكتابة فاستلذتها الانامل، واستحسنتها الاعين، وهي تتابع انسيابها بكل ارتياح.

ونرى أن الخط العربي لم توضع أصوله اعتباطا، أو كما اتفقت أذواق الكتاب أو نزوات الوراقين، ولكنه رسوم مدروسة وموزونة أخذت بنسب متوازية مقدرة من الخطوط المستقيمة والمستديرة حتى سميت بالكتابة المنسوبة. وأدى التناوب بينها في الحرف والكلمة الى قيم جمالية تجمع بين الرقة والقوة واليبس واللينونة.

ولكى تحفظ تلك النسب وضعت لها مقاييس تضبط بها. فتقاس طولها بشعرات البرذون،  
توضع متتابعة لقياس طول الالف على ما فى ذلك من عناء. وأما أجزاء الحروف فتقاس  
بالمثل والنصف والثلث والثلثين.

وللحفاظ على انسجام الحروف، وضعت قواعد تنصّ على مواضع المط أو المد فى  
الكلمة الثنائية والثلاثية والرابعة. وقيدت الحروف التى تعادل حرفين لحفظ توازن الكلمة ونظام  
السطر. كل هذه القواعد قد كملت منذ القرن الثالث، ووردت مفصلة فى كتاب الصاجى لابن  
فارس المتوفى سنة 395 هـ.

ثم جاء دور على بن هلال المشهور بابن البواب، كان فى أول أمره مزوقا يصور الدور ثم  
صور الكتب، ثم تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين وكان يعظ بجامع  
المنصور<sup>(18)</sup> وتلمذ على أستاذه محمد بن أسد<sup>(19)</sup>.

يعد مصحف ابن البواب الذي فرغ من كتابته سنة احدى وتسعين وثلاثمائة أقدم مصحف  
موجود بالخط اللين. وقد كمل فيه الربط بين الحروف ولا يأتي جديد بعده الا التحاسين وتغيير  
بعض النسب وتحريف القلم. ومن أهم الدلالات على مكانة ابن البواب تقليد الطيبى فى مصر  
لخطوطه، فقد جمع فى القرن العاشر كتابا به نماذج لستة عشر قلما نسبها لابن البواب. مما  
يدل على استمرار طريقته الى ذلك العهد. وقد برز مجودون كانت لهم مدارسهم ولكن ابن  
البواب كان له شرف السبق وفضل الاجادة، وحق الاستاذية.

وتنسب عدّة أعمال لابن البواب، ولكن الدارسين ينظرون اليها بحذر وريبة وتثبت فقد  
كثر تزوير خطوطه وتوقيعها باسمه لشهرته وللاثمان الباهظة التى تدفع فى سبيل الحصول  
على توقيعها.

ولكى نقدر فنه يجب أن نراه بالمقارنة مع سابقه، مع استحضار حضارة زمنه ونوع  
عصره. فان للزمن الفاصل بيننا وبينه رقيا وتطورا جيدين فى مجال الخط العربى وتوفى ابن  
البواب ببغداد سنة 423 هـ - 1032 م.

ثم يأتي فى القرن السابع دور ياقوت المستعصى<sup>(20)</sup> الملقب بقبلة الكتاب، والمشهور  
عنه نسخ ألف مصحف ومصحف. وان الاختزان الذي أدخله على الخط وبقي معمولا به حتى  
الآن، هو تحريف قطة قلمه التى نتج عنها رسم الخطوط الافقية بكامل سمك القلم، والخطوط  
القائمة بثلثى سمك القلم، وما بين القوائم والافقيات سمك متدرج بين النسبتين على قدر ميل القلم  
ودورانه وتم بذلك أهم مميزات الخط العربى.

(18) ياقوت معج الادباء. ج 10، ص 121.

(19) هو أبو عبد الله محمد بن أسد بن على بن سعيد القاري الكاتب البزار البغدادي، توفى لليلتين خلتا من  
المحرم سنة عشر واربعمئة ودفن بالشونيزي.

(20) هو جمال الدين ياقوت المستعصى الكاتب ظهر بعد الستمائة هجرية.

ويمكننا الآن أن نطلع على أحد أسرار الخط العربي بتتبع سير القلم : ان سنه مركب من صدر أو عرض، وزاويتان يمنى ويسرى. وفي الصورة فرقنا بين الزاويتين لتوضيح سير القلم، فنرى كيف تتعاقبان في سيرهما وتبتعدان وتلتقيان ثم تفرقان في تدرج وانسياب. وتختزل أحدهما خط سيرها عند المنعرجات بينما تواصل الأخرى دورانها، وتتقاطعان وتتناوبان مكانيهما يمنة ويسرة. ومنظرهما العام يوحي بوضع أسفلهما ظلًا للأخرى التي تعلوها. وهذه الخطة في سير القلم هي التي تبنى سرا من أسرار الخط العربي المتمثل في الأشكال المختلفة التي يتكون منها الحرف. أما الحشوات التي زدناها في الرسم فيضعها عند الكتابة عرض القلم الذي يفصل السن الايمن عن الايسر.

هذا ما أنتجه الأئمة الثلاثة في الخط اللين وهم ابن مقلة وابن البواب وياقوت المستعصمي. وهو ما يمكن أن نطلق عليه المدرسة العراقية ويكفيها فخرا أنها أرست قواعد الخط وفنونه.

ولقد كانت دار الخلافة هي الرائدة في تحسين الخط العربي، وإشاعته في الاقطار الاسلامية عن طريق المراسلات الرسمية، وبواسطة الوفود والتجار الذين يجلبون المخطوطات الى أوطانهم فحيثما انتشر الاسلام شاع الخط فيه وقلد أجوده وتنافس الكتاب في تحسينه. ولما انقرضت الدولة العباسية في العراق، لم ينقرض الخط العربي معها لان كل الاقطار كان بها خطاطون وكتبة.

#### المدرسة المصرية

ولقد ساهمت المدرسة المصرية في كل الازمان بمجودي الخط فيها واشتهر في العهد الطولوني طبطب<sup>(21)</sup> واعتنى المماليك في عهدهم بالفنون أيما اعتناء. وكتبت المصاحف الكريمة ذات الخط الجليل، والزخارف الغنية المتقنة، وبنيت المساجد، واشتهر بعض أئمة الخط العربي، مثل الزرقاوي الذي كتب رسالة عن الخط، ونظم شعبان الاثاري ألفية عنه، وألف ابن الصايغ في القرن التاسع تحفة عن الخط كما كتب مصحفا جليلا. وكل هذه الاعمال لا تزال محفوظة.

#### المدرسة الشامية

أما المدرسة الشامية فقد اشتهر بها الضحاك وإسحق بن حماد في عهد الدولة العباسية، وعرف عن الاتابكة تحسين خط النسخ الذي بدأ استعماله في أغراض التكوين وفي كتابة المصاحف. ويروي ياقوت « ان الحسن بن علي بن مقلة<sup>(22)</sup> كان منقطعاً للكتابة عند سيف الدولة وأفرّد له داراً قوراء، بها حوض للأقلام والمحابر، وعدة مجالس يتناوب الكتابة فيها<sup>(23)</sup>. »

(21) القلقشندي : صبح الاعشى، ج 3، ص 13.

(22) هو ابو عبد الله الحسن بن علي بن مقلة، (أخو ابن مقلة الخطاط)

كاتباً، ادبياً بارعاً - 268 - 338.

(23) ياقوت : معجم الادباء، ج 3، ص 32.



## المدرسة الفارسية

استعمل أهل فارس الخط العربى بدل خطهم بعد دخولهم الاسلام، وابتكروا خط التعليق وكان اضافة قوية أثرت الخط العربى، له مميزاته الخاصة فهو متأثر بالتصوير. ويتدرج بين الدقة والغلظة، بلغوا به درجات عليا من الجمال والكمال. واشتهر فيهم شاه محمود وعماد الحسنى وسليمان على وعلى رضا عباس.

## المدرسة المغربية

تشمل هذه المدرسة الاندلس والمغرب العربى. فقد جودت الخط الكوفى فى القرون الخمسة الاولى للهجرة. وعندما لينته لاغراض التدوين حافظت على عدة حروف منه على حالتها فى الكوفى، وكانت أنواع الخطوط قليلة، وفروفا ضئيلة وليس لها قواعد تضبطها، ونرى أن مرد ذلك الى رقتها الضيقة. وتعاقب الدويلات فى تاريخها. ولكنها اعتنت كثيرا بالمصحف الشريف، قراءة وضبطا وتجليدا.

## المدرسة التركية

بدأت بوادر الخط الجميل فى تركيا منذ أوائل القرن السابع الهجرى، وتمثلت فى مصحف كتب فى مدينة قونية اعتبرناه فاتحة عهد الخط النسخى الذى سترسوا عليه كتابة المصاحف الى يومنا هذا. واشتهر خطاطون بعد ذلك أمثال عبد الله الصيرفى، وأسد الله كرماني، وأحمد قره حصاري.

وفى القرن العاشر، أجاد الشيخ حمد الله الخطوط الستة وكان أستاذا للسليمان بايزيد الثانى، ونسبت اليه وضع مقاييس الخط بنقط القلم المربعة الذى يكتب به. واشتهر بعده حافظ عثمان، ونشطت حركة الخط العربى، وسهر عليها السلاطين، وقد تولى منهم السلطة من القرن الخامس عشر الى السابع عشر الميلادى عشرون سلطانا اهتم منهم ما لا يقل عن تسعة أو عشرة بنسخ المصحف الشريف، ورسم اللوحات الخطية<sup>(24)</sup> وقد قربوا اليهم الخطاطين، واعتنوا بتقدير انتاجهم، وتوصل هؤلاء الى ابتكار أفلام جديدة هى « سياقت » وهو خاص بديوان المحاسبة لا يفهمه الا الخاصة، وخط الرقعة، وخط الديوانى، وجليله. وبلغوا بالخطوط العربية عصورها الذهبية ولا تزال فيهم البقية الباقية من الخطاطين الافذاذ رغم هجرهم للحروف العربية.

## أدوات الكتابة وآدابها

من آيات هذا الفن الجميل أن الله قدر صناعته بأداة القلم الذى هو نبات أجوف لا وزن له ولا ثمن، فى تناول كل الخلق، ينبت نباته باذن ربه فى الجداول والانهار والغابات. وكان

(24) ارنست كونل : صناعة الخط فى الاسلام، مجلة فكر وفن، عدد 3، ص 19.

الارادة الالهية تقطع بذلك عذر أي متعلم أو كاتب بندرة أداتها أو قلتها، أو عجزه عن جلبها من أقطار مصنعة. وهذا النبات الطيب ينمو في كل الاقطار ولا فروق بينها الا في الجودة. وليس هناك حقا ما ينوبه لان طواعية قلم القصب وليونته لا يضاهيه أي نوع من المبتكرات الحديثة وأجودها الاقلام السمراء التي تنبت في بلاد فارس. وأدقها الموجودة في جزيرة جاوة، وتحتمل بريته كتابة جزء من ثلاثين من المصحف الشريف. أما ابن الصايغ فقد كتب مصحفا طوله متر وثمان سنتمرات وعرضه ثمانون سنمترا، بقلم واحد في مدة ستين يوما.

وقال المقرئ : « رأيت بالحجرة الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام مصحفا مكتوبا في آخره ما صورته : كتبته بقلم واحد فقط ما قط قط الا مرة فقط<sup>(25)</sup> .

ولبراية القلم آدابها وقيل عنها : « جودة البراية نصف الخط » ويبري القلم من جهة نبات القصية، وطول فتحته المسماة بالجلفة مقدار عقدة الابهام أو كمناقير الحمام. ثم تنحت جوانب القلم بسكين حادة.

وقط القلم وهو قطع سنه عليه مدار الكتابة وقيل كان بعض الكتاب اذا أخذ الانبوب ليبريها تفرس فيها قبل ذلك فاذا أراد أن يقط توقف ثم تحرى فتوقف، ثم يقط على تثبت<sup>(26)</sup>.

ويوضع القلم على مقط يتخذ من الابنوس أو العاج لكونها بين اليبس والليونة ولا يعرضان السكين للحفى. وتتم البراية الجيدة والقط الدقيق بسكين تتخذ من الصلب وتكون مسنونة جدا، ذات مقبض مريح ليكون البري دقيقا ميسرا.

وتشق الجلفة بحسب صلابة القلم ورخاوته، فالمعتدل تشق جلفته الى نصفها والصلب الى أكثرها.

ويصنع الخطاطون أحبارهم بأنفسهم. وتوجد تراكيب اللون الاسود بعدد وفير. وأشهرها المتخذ من دهن بزر الفجل والكتان حيث يوضع في مسارح توقد، ويجمع سوادهما ثم يخلط بالغراء العربى والماء فيدق ساعات.

وأنشدوا فى المداد قولهم :

ربع الكتابة فى سواد مدادها      والربع حسن صناعة الكتاب  
والربع من قلم تسوى بربه      وعلى الكواغذ رابع الاسباب<sup>(27)</sup>

ويعتنى قديما برابع الاسباب وصنعه ويصقل بالبيض والغراء، وتراكيب أخرى. وهو أجود الورق وأصلحه، وقد عدل عنه فى الحاضر لوفرة الورق المصقول وان لم يبلغ مرتبة القديم.

(25) المقرئ : نفح الطيب، ج 6، ص 4.

(26) القلقشندي : صبح الاعشى، ج 2، ص 462.

(27) القلقشندي : صبح الاعشى، ج 2، ص 473.

ولجميع أدوات الخطاطين أوضاع منتظمة أمامه حتى تكون في متناول يده، ويبالغون في تعهدها ورعايتها، ويتنافس صناع مهرة في تزيينها وزخرفتها وتكفيتهها بالذهب وتسجيل الآيات والامثال على المقطعات والمقلمات حتى تكون له مصدر الهام وتجويد.

ولقد شاهدنا في متحف مدينة بخاري مقطعات مصنوعة من الورق المضغوط مزخرفة بالحكم وبأسماء أصحابها، مدهونة بلماع ليحفظ ألوانها.

وتوجد في متاحف استانبول أدوات رفيعة من مقلمات وسكاكين ومقاط هي آية في جودة الصنعة والزخرف. وكانت الى أوائل هذا القرن سوق خاصة بالوراقين يتوفر في دكاكينها كل لوازم الخطاطين. وأجود هذه الادوات ممهورة بأسماء صانعيها المشهورين باتقانها.

### شخصية الخطاط

بعد أن تطرقنا لتاريخ هذه الصنعة وتطورها ومدارسها وأدواتها وآدابها نتجه الى الصانع لنكتمل عندنا رؤية صادقة وتامة لهذا الفن الاسلامي.

اكتسب الخطاط المسلم مكانة الصدارة منذ ظهور الاسلام لمكانة الكتبة من النبي (ص) وقيامهم بتدوين القرآن. فوجب على الخطاط أن يتصف بالاخلاق الطيبة، والسجايا الحميدة. واعتبرت العوامل النفسية والجسمية أيضا ذات تأثير بالغ المدى في ما تخط الانامل، وكان عمله مرآة لشخصيته وسلوكه ووضع ابن البواب شريعة للخط قال فيها : بنى : الكتابة على خمس : قوة الاخماس، وحدة الالماس، وجودة القرطاس، ولمعان الانقاس، وحبس الانفاس، ودوامه في تركيب المركبات، وفي ترك المنهيات، والمواظبة على الصلوات<sup>(28)</sup>.

والخط عند رجل الفن المسلم عبادة، لايمانه بأن صنعته ليست مجرد تحكم الاصابع في القلم وتدريبها، فهناك وراء ذلك الفكر الذي يسيطر على الجوارح. وأن عمله هو نسخ آيات الله، أو نشر فضيلة، أو اشاعة علم نافع.

ويقول باول بارتس : « يلعب الوازع الديني في الاسلام دورا أساسيا في عمل الخطاط الذي يعبر عن التسليم لله والتوكل عليه »<sup>(29)</sup>.

وقال أيضا : ان الشرط الأساسي لقدرة فنان الخط على الانتاج هو درجة عالية من الشفافية والصفاء الروحي<sup>(30)</sup>.

(28) وجدنا هذه العبارات في أحد المخطوطات باستانبول. لم نتذكر اسمها وهي الى الفاظ حبس الانفاس، وظهرت كاملة في مشق الخطاط صائم أوزل أمام جامعة السليمانية « نمونة خطوط » طبع سنة 1966.

(29) باول بارتيس، الفن الحديث وفنون الخط، مجلة فكر وفن عدد 17، ص 7.

(30) المرجع السابق : نفس الصفحة.

ان الخطاط يكتب تقرباً لله، وطلباً لثوابه، ويخط في اجلال وتقديس وهو ما تشف عنه خطوط المجيدين فنشعر عند تأملها بالقدسية، والرهبة، والسحر الحلال، وأسرار الجمال.

وهذا تفسير لدلالة التواقيع التي يذيلون بها أعمالهم ومن أمثلتها :

- كتبه الفقير الى رحمة ربه القدير ... حافظ عثمان<sup>(31)</sup>.
  - كتبه من لا قدر له ولا قدره، ولا نخل بواديه ولا سدره، أضعف العباد جرماً وأقواهم جرماً حمد الله المعروف بابن الشيخ عفى عنهما<sup>(32)</sup>.
  - كتبه صغير الحجم كبير الجرم حمد الله<sup>(33)</sup>.
  - كتبه أضعف الضعفاء وتراب أقدام المساكين والفقراء بهشتى السبزاوري<sup>(34)</sup>.
  - كتبه أضعف العباد وتراب الأقدام حسين الجزائري من تلاميذ درويش علي<sup>(35)</sup>.
- أما حافظ عثمان أشهر من كتب بالنسخ، فلا يجلس الى تدريس الخط والكتابة الا اذا توضأ ولبس الاحرام.

هذه هي الناحية النفسية والخلقية، أما الجسمية فقد اكتشف العرب أثرها في الكتابة منذ القرن الرابع.

ويقول التوحيدي : سمعت على بن جعفر الكاتب الطايغ<sup>(36)</sup> وكان حسن الخط يقول : « لا شيء أنفع للخطاط من أن لا يباشر شيئاً بيده من رفع ووضع خاصة اذا كان ذلك الشيء ثقيلًا، فان الحركات اذا تمثلت بالحروف والحروف اذا اندفعت بالحركات كانت الصور الخطية والحروف الشكلية محفوظة الاعيان بامتلائهما بهما، محروسة الابدان بانتسابهما اليهما قال : ولقد رفعت يدي بسوطي الى الدابة مرارا في بعض الايام وقنعتها به فتغير خطي مدة<sup>(37)</sup> .

أما الخطاط الايراني السيد حسين<sup>(38)</sup> أستاذ ناصر الدين شاه<sup>(39)</sup> فقد كان يضع في رقبته منديلاً يعلق يده فيه أثناء المشي زاعماً أن يده اذا اهتزت تأثر حسن خطي<sup>(40)</sup>.

- 
- (31) سهيل أنور : أنواع الخطوط التركية (بالتركية) ص 37، توقيع لمصحف.
  - (32) أكرم حقى : خطاطو عهد فاتح وصناعة الخط (بالتركية) توقيع لكتاب حنين بن أسحق فى المسائل وأجوبتها فى الطب.
  - (33) هيار : الخطاطون، ص 111.
  - (34) توقيع لمصحف كتب سنة 945 هـ - 1537 م. انظر محمد بن سعيد شريفى خطوط المصاحف (رسالة جامعية) 1976، ص 65.
  - (35) توقيع لقطعة خطية من مجموعة متحف ابن الامين، جامعة استانبول.
  - (36) على بن جعفر الكاتب ويكنى الحسن الفارسي، كان من أعيان الادباء.
  - (37) التوحيدي : رسالة فى علم الكتابة (ضمن ثلاث رسائل لابی حيان التوحيدي، ص 34.
  - (38) له قطعة خطية بتاريخ 1282 هـ.
  - (39) ناصر الدين شاه، 1831 - 1896، عاهل ايران من سلالة قاجار.
  - (40) السباعى : رسالة اليقين، ص 4. مخطوط.

وقد تحول خلفة الخطاط دون الاجادة. وهذا سيد اسماعيل نفسى زاده، الاستاذ الثانى لحافظ عثمان كان كبير البطن ومنعه ذلك عن الاجادة ولولا ذلك لما خالف خطه خط الشيخ حمد الله(41).

أما حبس الانفاس الذي قرره ابن البواب فله تأثير فى حركة اليد فلا مناص من حبسها عند جرّ القلم للحرف أو عند الاستمداد، حتى يسلم من التعاريج، لكن بعض الخطاطين، وهم قلة طبعا - لهم قدرات خاصة يشذون عن هذه القاعدة. فهذا شاد شاه المتوفى سنة 1050 هـ - 1640 م تلميذ مير على مجود الخط الفارسى، كان يكتب القطع الخطية، يد تكتب وأخرى تسن السكين فى آن واحد(42).

أما محمد نرجس بن أحمد التركى - من القرن الحادى عشر فقد اشتهر بالسرعة فى الكتابة. فقد حرر مرّة كتيب « العوامل فى الاعراب ماشيا على قدميه بداية من مسجد بايزيد الى المحمدية باستانبول(43).

### صعاب الصنعة

يحتاج الخط كأي فن الى مواهب واستعدادات وتمارين شاقة للحصول على نتائج جيدة فى اتقانه. ويقول أستاذ هذه الصنعة : ابن البواب فى رسالة كتبها لاحد رؤسائه : ... « ولا خفاء عليك أدام الله تأييدك - بفضل الحاجة ممن تعاطى هذه الصناعة الى فرط التوفر عليها، والانصراف بجملته العناية اليها، والكلف الشديد بها والولوع الدائم بمزايلتها، فانها شديدة النفار، بطيئة الاستقرار، مطمعة الخداع، وشيكة النزاع، عزيزة الوفاء، سريعة الغدر والجفاء، نوار، قيدها الاعمال، شمس، قهرها الوصال لا تسمح ببعضها الا لمن آثرها بجملته، وأقبل عليها بكليته، ووقف على تألفها سائر زمنه واعتاضها عن خله وسكنه، لا يواسيه حيادها، ولا يغره انقيادها، يقارعها بالشهوة والنشاط، ويودعها عند الكلال والملال حتى يبلغ منها الغاية القصية، ويدرك المنزل العلية »(44).

ويروى التوحيدى عن المرزبان قوله : « الخط هندسة صعبة، وصناعة شاقة، لانه اذا كان حلوا كان ضعيفا، واذا كان متينا كان مغسولا واذا كان جليلا كان جافيا، وان كان مدورا كان غليظا، فليس يصح له شكل جامع لصفاته، الكبير والصغير الا فى الشاذ المستندر(45).

ويقول جلال أسعد. وهو مؤرخ تركى : « الخط كالرسم والموسيقى يتطلب استعدادا خاصا ليس فى تناول كل الناس، فمن بين الخطاطين الالف من الاتراك لا نجد بينهم سوى

(41) هيار : الخطاطون، ص 138.

(42) هيار : الخطاطون، ص 249.

(43) المرجع السابق، ص 264.

(44) يافوت، معجم الابداء، ج 15، ص 131.

(45) التوحيدى : رسالة فى علم الكتابة (ضمن ثلاث رسائل لآبى حيان التوحيدى، ص 36.

عشرة يمتازون بجمال الخط وأصالته»<sup>(46)</sup>. واستطرد يقول : « ونستطيع الجزم بأن تكوين الخطاط أصعب من تكوين الرسام. ومهما بلغ المصور من المقدرة فلن يستطيع تقليد لوحة خطية جميلة ما لم يتقن القواعد والنسب الخطية»<sup>(47)</sup>.

وهذا هو سبب قلة الخطاطين وبالتالي ندرة المجيدين منهم. ويحتاج الخط الى تمارين شاقة ومداومة عليها، ويرشدنا ابن مقلة بعبارة وجيزة بليغة الى ذلك بقوله : « انى لاجدنى من يوم الخميس أخط من يوم السبت»<sup>(48)</sup>.

ويقضى الخطاطون الاثراك ساعات كل يوم فى ادارة كرة من العجينة اللينة للحصول على الحساسية المرهفة فى الاصابع، لتدوير القلم بكل دقة<sup>(49)</sup>.

أما عماد الحسنى الذي بلغ بخط التعليق أعلى مراتبه فان تمارينه المواصله فى الخط لا تسمح له بحلاقة شعره سوى مرتين فى السنة<sup>(50)</sup>.

ولا غناء فى هذه الصنعة عن الاستاذ، فان كثيرا من أسرارها معقودة بتوجيهاتهم، مخبوءة فى ارشاداتهم.

وقال صاحب رسالة : كتاب الابرار فى بري القلم وعمل الاحبار فى هذا الصدد : « أعلم رحمك الله أنك اذا لم يكن لك شيخ فلا بد أن يدخل عليك الفساد » وعثرنا على ابيات تشير الى أهمية الاستاذ تقول<sup>(51)</sup> :

اذا شئت أن تحظى بحسن كتابة	ومرثبة فى العالمين تزيين
تخير ثلاثا واعتمدها فانها	على بهجة الخط المليح تعين
مداذا وطرسا محكما وبراعة	اذا اجتمعت قرّت بهن عيون
ولا بدّ من شيخ يريك شخوصها	يساعد فى ارشادها ويعين
ومن لا له شيخ وعاش بعقله	فذاك هباء عقله وجنون

والملاحظ فى سير الخطاطين ورود أسمائهم منسوبة الى شيوخهم وغدا بالتالى عقوق الاستاذية مجلبة لسخط الله. وتروى أمثلة لذلك منها : أن الدرويش محمد المعروف بالكوكب، تلميذ حافظ عثمان، ادعى أنه يكتب أحسن من استاذه، وأخذ يوما مصحفا من استاذه لينقل منه وعند بريه لقلمه قطع بسكينه اصبعين من يده، فلم يبلغ بعد ذلك فى حياته مرتبة المجيدين<sup>(52)</sup>.

(46) جلال أسعد : الفنون الزخرفية التركية، ص 341.

(47) المرجع السابق نفس الصفحة.

(48) منية الكتاب (مخطوطة مغربية مجهولة الكاتب، هامش الورقة الاولى).

(49) جلال أسعد : الفنون الزخرفية التركية، ص 347.

(50) هيار : الخطاطون، ص 239.

(51) أحمد بن الصلوتين : مجموعة رسائل فى علم الخط (1181 هـ - 1767 م).

مكتبة جامعة استانبول رقم 3794. وتوجد أيضا فى كتاب تاريخ الخط العربى وآدابه للطاهر مكى. ص

425، منسوبة لبعضهم.

(52) هيار، الخطاطون. ص 162.

وكان مير شلبي اسكندر من بخاري - تلميذ على هروي، متفوقاً في الخط وأذن له أستاذه بالتوقيع على أعماله باسم أستاذه، ولكنه كان سيء الخلق معجبا بنفسه، أجاب في وجه أستاذه، « من تكون أنت حتى أستعمل توقيعك ». ومضت فترة وجيزة على هذه الصفة الناكرة. فقد بعدها التلميذ العاق بصره<sup>(53)</sup>.

ومن تقاليد هذا الفن أنه لا يجوز للتلميذ تزييل أعماله بتوقيعه ما لم يحصل على اجازة من أستاذه. يكتب قطعة خطية يقومها له أستاذه حتى يبرع فيها، ثم يكتب عليها أستاذه اذن الكتبة. وربما شهد بذلك خطاط آخر. وتقام بهذه المناسبة وليمة يحضرها أهل هذا الفن.

### انتاج الخطاط

اهتم الخطاطون بفنهم، وصنفوا كتباً في فن الكتابة وأدواتها وآدابها، ووضعت للخطوط أسماؤها وللحروف أوصافها في كل أوضاعها وألفت رسائل عن الخطوط مشفوعة بنماذجها. وأرخ لكبار الخطاطين ووجدت قواميس لأعلامهم وأعمالهم ونبذ من سيرهم. ونظم شعبان الأثاري ألفية في الخط. وألف الكفعمي كتاباً يحوي خمسين ورقة كلها ألغاز عن القلم<sup>(54)</sup>.

وخلد الخطاط اسمه عبر التاريخ الاسلامي في كل المجالات الفنية. فلا يخلو مسجد من أعماله، ولا القصور من لوحاته، ولا المكتبات من مخطوطاته التي حفظت التراث العربي والحضارة الاسلامية، وكل هذه الاعمال مذكاة باسم الخطاط وتاريخ انجازها مما أدى الى علم الآثار خدمة جليلة بعيدة الأثر. واعتنى الخطاطون أيما اعتناء باللوحات الخطية صغيرها وكبيرها، وخطوا الآيات الكريمة، والأمثال السائرة، والحكم النادرة، والأشعار الخالدة، في أشكال معبرة ومؤثرة. والحق أن هذه اللوحات التي لا يكاد يخلو منها بيت مسلم كان لها الأثر الحسن في تربية النشء خلقياً، وتثقيفه فنياً. وإن تكرار رؤيتها يوحى للناظر اليها كل مرة بمعان جديدة تضيف على النفس السرور والانشراح والارتياح. وكان لأنواع الخطوط تأثيرات متغايرة ومتباينة حتى عند اتحاد النص، فإن كل خطاط يظهر فيها رؤية جديدة من الفن المجرد، يعالجه بأسلوبه الخاص، يساعده في ذلك رحابة الخط العربي وغناه المرتبط بغنى اللغة العربية واشتقاقاتها. ولذلك كثرت صور الحروف عند المركبات لتتناس الحروف وتتوافق الكلمات، وتتطابق السطور. وبهذا المثال ينجلي المقال : ونعرض عليكم الحكمة القائلة « رتبة العلم أعلى الرتب ».

نرى في لوحة حاجي نوري البساطة والاتزان وتوافقاً بين حرف العين الاول والثاني. والاصل رسم العين الاول مربعة ولكن الخطاط عدل عنها للحصول على التوافق في السطر. وهي مؤرخة في سنة 1322 هـ - 1904 م.

(53) المرجع السابق. ص 299.

(54) هو : إبراهيم بن علي بن الحسن الحارثي العاملي الكفعمي، أديب وكاتب 840 - 905 هـ. ويوجد المخطوط في مكتبة السليمانية قسم أسعد أفندي برقم 2881.

أما الخطاط محمد نظيف فقد جمع حروفها فى توافق وإبداع ورسم العين الاولى مربعة ومجموعة والثانية صادية مجموعة. وكتب محمد نجم الدين هذه الحكمة بخط التعليق الذي اشتهر به ووزنها بعراقة الباء الراجعة التى توسطت السطر.

ووفق الخطاط ماجد الزهدي برسمها فى شكل دائري فنجد التوافق جيدا بين حرفى العين، كما انسجمت عراقة « رتبة ». والتاء والباء من أعلى فكان التقابل جيدا وهى لا تحمل التاريخ أما ناشرها المهندس ناجى زين الدين فقد أرخها بسنة 1380 هـ - 1960 م.

وأخيرا لم يترك الاولون للآخرين شيئا. فالعبد لله أدلى بدلوه فكتب هذه الحكمة على الصورة التى تشاهدونها. وذلك سنة 1391 هـ - 1971 م.

ان بحور الخط العربى شاسعة وسخية لمن جد فى الاغتراف منها. واننا لنجد فى عصرنا بعض الخطاطين قد توصلوا الى استخراج أنواع من الخطوط، ظهرت فى عناوين الصحف والتلفاز، تعبر عن المواضع المعروضة من سرور وحزن وهزل ورسمى ومدنى.

وأضحى الخط العربى ذا تأثيرات عديدة فى شتى ميادين الآداب والفنون والعلوم. واتخذ الشعراء الحروف العربية تشابيه فى المدح والغزل وانبهر الاجانب بالخط العربى منذ اتصاله بالحضارة الاسلامية فظهرت الكتابات العربية على صناعاتهم بل وحتى صلبانهم. ووجدت الشهادتان منحوتة على عملاتهم. وظهرت الكتابات فى فن التصوير فى عصر النهضة ودخلت الكنيسة، ووشيت بها أوشحة الملوك والرهبان<sup>(55)</sup> وتأثرت الكتابات القوطية بالخط الكوفى الاندلسى وتسربت الخطوط العربية الى أعمال الفنانين التجريديين، أمثال بول كلي<sup>(56)</sup> وكارل جورج هونز<sup>(57)</sup> وبيكاسو<sup>(58)</sup> الذى درس الخط العربى على يد خطاط تونسى.

وكان الخطاط المسلم هو الفنان الاول مرتبط بالدواوين والقصور، يغشى مجالس الخلفاء ويقوم بأعمالهم. ويحلو للامراء النظر ساعات طوالا الى الخطاط أثناء عمله. وذهب بعضهم فى تقديرهم له الى مسك الدواة أو الشمعدان له.

الا أن شعور الحكام بمراتبهم وسطوتهم، واعتزاز الخطاطين بقدراتهم ومواهبهم يؤدى بالعلاقات بينهم الى الاحتكاك والالتحام ثم الانتقام.

طلب الوالى محمد على الكبير من سلطان دولة ايران خطاطا لتزيين جدران مسجد القلعة. فاختار لهذه المهمة ميرزا اسنكلاخ. وكان معروفا باعتداده بنفسه. ولما وصل طلب منه الوالى أن يبعث اليه بلوحة من خطه يتأمل حسننها. فأرسلها له مع خادمه. وعندما مثل بين

(55) كريستى وغيره : تراث الاسلام. ج 2. ص 17.

(56) بول كلي : فنان ألمانى، 1879 - 1940 تأثر فنه بالشرق، سافر الى تونس سنة 1914 - والى مصر سنة 1929 م.

(57) فنان ألمانى : انظر أعماله فى مجلة فكر وفن. عدد 3، ص 54.

(58) بيكاسو بابلو 1881 هـ - 1973 م، مصور إسبانى أحد كبار الفن التكعيبى، عاش فى فرنسا.



يدي الوالى تردد وتراجع واستفسره الوالى فاجابه : لقد أوصانى الخطاط أن أرجع باللوحه ان لم تقم احتراما لها. فأنفذ الوالى الموقف بأن أمر الخادم بالخروج وإعادة الدخول ليقوم تعظيما للقطعة<sup>(59)</sup>.

وكان السلطان العثمانى محمود خان<sup>(60)</sup> يتعلم الخط على يد استاذة مصطفى راقم<sup>(61)</sup> قبل أن يتولى السلطنة. وعندما تولاهما رغب مواصلة تعليمه وعند أول درس أعطى الخطاط الدواة للسلطان ليمسكها كالعادة فأخذها على رغمه ولما انتهى التعليم قبل الاستاذ الارض بين يدي السلطان ووقف مكتوفا. فبادره السلطان ما هذا التناقض نقول لى امسك الدواة، ثم تقبل الارض أمامى فأجابه الخطاط : يا مولاي، أما مسك الدواة فهو حق الاستاذية، وأما تقبيل الارض فهو حق السلطنة أوفيته، وارتاح السلطان لهذا الجواب وأنعم عليه بألف غازي محمودي<sup>(62)</sup>.

ولكن ما كل مرة ينتهى الامر بين الخطاطين والحكام بهذه النهاية السعيدة. كان عماد الحسنى من أسياد قزوين أشهر من كتب الخط الفارسى وكان الشاه عباس الاول يفضل على رضا عباسى عليه وذهب الى أن مسك له المشعل وهو يكتب فى محضر عماد، كما عينه كاتباً خاصاً وأمينا لمكتبته. فلم يتحمل عماد هذه المحابة وهو من هو فنظم أشعارا بها توريه تعرض بالشاه، فبعث اليه الشاه أعزّ أصدقائه يدعوه الى عشاء عند أحد الكبراء فسطا عليه قطاع الطرق وقتلوه وقطعوه أشلاء. ولما علم جهانكير بن أقيار المغولى بما حدث حزن عليه وقال : لو أن الشاه سلمه لى بدل قتله كنت فديته بوزنه ذهباً<sup>(63)</sup>.

ونختم هذه الفصول بما بدأنا به :

ان المصحف الشريف هو أول وأهم مجال طَوّر الخط العربى فيه وكان السبب فى انتشار الخط وتجويده. وحفظ الله بالخط كلامه العزيز. فخدم المصحف والخط كل منهما الآخر. ونسخت عبر القرون الآلاف المؤلفه من النسخ. وكانت أمنية كل خطاط أن ينسخ المصحف مرارا وتكرارا. وتصدى لذلك كل أئمة الخط العربى بلا استثناء. ووصلت اليها وشاهدنا صورها معا. وقد شاء الله أن تبقى تلك المصاحف شاهدة على جودة خطوط ناسخها.

وأوتى بعض الخطاطين قدرات عجيبة فى غزارة الانتاج علاوة على حسن الخط. فقد بلغ عدد مصاحف رمضان أفندي تلميذ عبد الله الجزار المتوفى سنة 1091 م، أربعمائة مصحف. وكان شأنه عظيما وزواره كثيرين وما لم ينجز عمله اليومى لا يخرج لزواره المنتظرين أمام بيته<sup>(64)</sup>.

(59) السباعى : رسالة اليقين، ص 17.

(60) لعله السلطان محمود الاول 1730 - 1754.

(61) خطاط تركى مشهور كتب مائة مصحف تلميذ السيد عبد الله بدقله لى. توفى سنة 1181 هـ /

1867 م. تحفة خطاطين، ص 523.

(62) السباعى : رسالة اليقين، ص 22 - 26.

(63) هيار : الخطاطون، ص 239.

(64) هيار : الخطاطون، ص 138.

وذكر أن ياقوت المستعصمي المتوفى سنة 698 هـ / 1298 م. قد كتب ألف مصحف ومصحف<sup>(65)</sup>.

أما محمد بن عبد الله بن غطوس من أهل بلنسية فقد قال عنه ابن الأبار، « ويقال أنه كتب ألف نسخة من كتاب الله عزَّ وجلَّ ... » وكان قد آلى على نفسه ألا يخط حرفاً من غيره ولا يخلط به سواه، تقرباً إلى الله، وتنزيهاً لتنزيله فما حنث فيما أعلم أوقام على ذلك حياته كلها<sup>(66)</sup>.

وتختلف أحجام المصاحف على حسب أغراضها :

لقد كتب عمر أخته مصحفاً لثيمور بخط الغبار الدقيق يحويه فص خاتم فرفضه، وقدم له بعد ذلك مصحفاً طول سطره ذراعاً محمولاً في عربة فاستقبله في جمع من العلماء وصاح عند رؤيته « هكذا يجب أن يكون »<sup>(67)</sup>.

وكتب سيد قاسم غباري تلميذ شريف عبد الله سورة الاخلاص على حبة الارز. ونسب إلى الغبار لدقة هذا النوع من الخط الذي يتقنه<sup>(68)</sup>.

وعرف بعض الخطاطين بما أحببنا أن نطلق عليه « لزوم ما لا يلزم ».

تحفظ دار الكتب المصرية مصحفاً بخط محمد روح الله كتبه سنة 1107 هـ التزم فيه ابتداء كل سطر من سطوره بحرف الالف.

واشتهر في تونس الحاج زهير المتوفى سنة 1305 هـ - 1904 م. فقد أتم سنة 1275 هـ - 1859 م. مصحفاً التزم فيه مقابلة بعض الحروف أو الكلمات في كل صفحة على اليمين بمثلتها نصاً على اليسار في نفس المكان والسطر، وتمييزها باللون الاحمر. وهو ما لم يسبق اليه. والمصحف محفوظ بدار الكتب التونسية.

وذكر لى الاستاذ المرحوم عثمان الكعاك بوجود مصحف في تونس نقط حروفه ثقوب تصادف نقط الاوراق التي تحتها، وأن ذلك مقصود وليس من عمل الارضة.

وتملك مديرية الآثار العامة العراقية مصحفاً كتبه ابراهيم بن عبد الله المروزي سنة 1203 هـ التزم فيه الخطاط أن يكون الحرف الاول من السطر الاول يطابق الحرف الاول من السطر الاخير في الصفحة. والحرف الاول بالسطر الثاني يطابق الحرف الاول بالسطر الثاني قبل الاخير. والسطر الثامن - وهو الاوسط - يطابق الحرف الاول من السطر الثامن من الصفحة المقابلة، وعدد سطور الصفحات خمسة عشر سطر<sup>(69)</sup>.

(65) المرجع السابق، ص 86.

(66) ابن الأبار : كتاب التكملة لكتاب الصلاة، ج 2، ص 593.

(67) هيار : الخطاطون، ص 252.

(68) المرجع السابق، ص 132.

(69) انظر : مجلة منار الاسلام، عدد 3، سنة 2، 1977.

تلك هي قدرات الخطاط العربي، وتلك هي قدراتنا المتواضعة في تقدير عمله. ونرجو أن نكون قد أنصفناه وأدينا بعض حقوقه وأحلقناه المكانة التي يستحقها. وعرفنا بالخطوط العربية، وبرسالتها التي أدتها عبر الاجيال فكونت بين البلدان الاسلامية على مختلف ألسنتها وحدة شاملة تفوق الوحدة اللغوية، وأشاعت الجمال، والبهجة في النفوس. وعلى كاهل الخطاطين مهمة اثراء فنون الخط العربي، وإن عجزوا فأضعف الواجبات، المحافظة على جده القديم.

## بيان باسماء الكتب والبحوث المشار اليها فى هذا البحث

- القرآن الكريم.
- ابن الابار (ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القاضى البلسنى تـ 659 هـ).  
التكملة لكتاب الصلة، جزءان، طبع مكتب نشر الثقافة الاسلامية - القاهرة 1965.
- ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين أبو الفضل أحمد 773 - 852).  
فتح الباري بشرح الامام أبى عبد الله البخاري، ج 9 - القاهرة المطبعة البهية المصرية 1348 هـ.
- ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبى بكر) 608 هـ / 681 هـ -  
1211 / 1281 م :
- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان، 6 أجزاء. طبع مكتبة النهضة العربية، 1949 م.
- ابن الصايغ : (عبد الرحمن يوسف) تـ : 845 هـ / 1441 م :
- تحفة أولى الالباب فى صناعة الخط والكتاب - تحقيق هلال ناجى - طبع دار بوسلامة -  
تونس، 1968.
- ابن فارس (أبو الحسين أحمد) تـ : 395 هـ / 1005 م :
- كتاب الصحابي - المطبعة السلفية، مصر 1910 م.
- ابن كثير : (عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير) تـ 774 هـ / 1373 م :
- فضائل القرآن - طبع دار الاندلس - بيروت.
- أحمد (يوسف)
- الخط الكوفى - الرسالة الاولى والثانية - طبع مصر 1933 م.
- اخوان الصفا :
- رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا (رسالة الموسيقى) طبع مصر 1337 هـ / 1928 م.
- أوزل (صائم)
- (نمونة الخطوط) مشق فى الخط العربى - طبع استانبول 1969 م.
- بارتس باول
- الفن الحديث وفنون الاسلام، مجلة فكر وفن عدد 17، طبع ألمانيا.
- التوحيدى (أبو حيان على بن محمد) تـ : 414 هـ / 1022 م.
- رسالة فى علم الكتابة (ضمن ثلاث رسائل للتوحيدي، تحقيق د. ابراهيم الكيلانى. طبع  
المعهد الفرنسى بدمشق 1952 م.
- الثعالبى (أبو منصور عبد الملك بن محمد) :
- ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب، مطبعة الظاهر - مصر 1908.

- الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس) تـ : 331 هـ / 943 م :  
كتاب الوزراء والكتاب - طبع مصطفى البابى الحلبي 1938 م.
- الدنى (أبو عمرو عثمان بن سعيد) تـ : 444 هـ / 1052 م :  
المحكم فى نقط المصاحف : تحقيق د. عزة حسن - طبع دمشق 1960 م.
- زين الدين (ناجى)  
مصور الخط العربى - طبع المجمع العلمى العراقى - بغداد 1967 م.
- بدائع الخط العربى. طبع وزارة الاعلام - بغداد 1972 م.
- السباعى (مصطفى الحسن) :  
رسالة اليقين فى معرفة أنواع الخطوط وذكر بعض الخطاطين من الترك والفرس والعرب  
أجمعين 1913 م. نسخة مصورة بدار الكتب والوثائق المصرية، رقم : تاريخ / 3285.
- الطيبى (محمد بن حسن)  
جامع محاسن كتابة الكتاب ونزهة أولى البصائر والالباب.  
تحقيق : الدكتور صلاح الدين المنجد. دار الكتاب الجديد، بيروت 1962 م.
- القلقشندي (أبو العباس أحمد بن على) تـ : 821 هـ / 1418 م.  
صبح الاعشى فى صناعة الانشا. نسخة مصورة عن المطبعة الاميرية مع استدراقات،  
القاهرة (بلا تاريخ).
- مجهول :  
كتاب الابرار فى بري القلم وعمل الاحبار سنة 987 هـ / 1579 م.  
مخطوط فى مجموعة خاصة بالمغرب.
- كريتى - أرنولد - بريجس :  
تراث الاسلام، جزآن ترجمة وتحقيق الدكتور زكى محمد حسن، مطبعة لجنة التأليف  
والنشر. مصر 1936 م.
- الكفعمى (ابراهيم بن على)  
لغز فى القلم (مخطوط) السليمانية - قسم أسعد أفندي رقم 2881 - استانبول.
- كوندل (أرنست) :  
صناعة الخط فى الاسلام مجلة فكر وفن عدد 3، ص 19.
- المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بمصر.  
حلقة بحث الخط العربى، دار المعارف - مصر 1967 م.
- مستقيم زادة (سليمان سعد الدين، 1131 - 1202 هـ / 1719 - 1788 م) :  
تحفة خطاطين. (باللغة التركية) طبع استانبول 1928 م.
- المقرئ (أحمد بن محمد التلمسانى) تـ : 1041 هـ / 1632 م.  
نفخ الطيب فى غصن الاندلس الرطيب - عشرة أجزاء، تحقيق محمد محى الدين عبد  
الحميد، ط 1 - مصر 1939.

- مجهول :  
منية الكتاب. قصيدة فى الخط 6 صفحات مبتورة - خط مغربى - مخطوط رقم 1496  
المكتبة الوطنية الجزائرية.
- ناصف (حفى)  
تاريخ الاداب أو حياة اللغة العربية، جزآن، طبع القاهرة 1910 م.
- ناجي (خليل حى)  
أصل الخط العربى وتاريخ تطوره الى ما قبل الاسلام، مجلة كلية الاداب جامعة القاهرة،  
المجلد 3، ج 1، 1935 م.
- ولفنسن (اسرائيل) - أبو ذؤيب :  
تاريخ اللغات السامية، مطبعة الاعتماد مصر 1929 م.
- ياقوت (أبو عبد الله ياقوت عبد الله الرومى) ت : 626 هـ / 1229 م :  
معجم الادباء، 20 جزء طبع دار المأمون - مصر.